حملات الرومَان على الجزيرة العَربيّة

إعداد : الأستاذ ابراهيم يوسف أحمد الشتلة

- ١ -

« حملات الرومان على الجزيرة العربية »

بدأت أطماع الرومان فى الجزيرة العربية فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد أى فى بداية العصر الامبراطورى ، وقت أن سيطرت روما على معظم دول وممالك الشرق ، حتى أصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة رومانية وكان يطلق عليه بحر الرومان .

وكانت الامبراطورية الرومانية تضم أغنى مناطق أوروبا الغربية والشمالية الغربية وجميع بلاد أوروبا الجنوبية ، وأنها كانت تضم جميع مناطق آسيا الغربية بين البحر الأسود ووادى الفرات شرقا والبحر الأبيض المتوسط وخليج السويس غربا ، كما كانت تضم فى أفريقيا مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، وان أدركنا أن هذه المناطق غنية جدا بمحاصيلها الزراعية وثرواتها المعدنية ، وأن بعض تلك المناطق تحتل موقعا تجاريا ممتازا ، فان تذكرنا كل ذلك قدرنا بصورة دقيقة أهمية الاقتصاد الرومانى ومدى ما نعمت به الامبراطورية الرومانية من رخاء وازدهار اقتصادى لاسيما فى فترات السلم .

لقد حرصت السلطات المركزية الرومانية نشدانا منها لتأمين وصول جميع ما فرضته على الولايات من أجل استتباب الأمن وتوطيده على طرق المواصلات البرية والبحرية ، وتنفيذا لهذه الخطة المرسومة أقام الرومان حاميات من قوات الأمن فى مراكز شتى على طول طرق المواصلات البرية .

كما ضاعفوا عدد تلك المراكز وعدد جنودها فى المناطق الجبلية الوعرة المسالك وفى المناطق الكثيرة الحراج ، أما خفر السواحل ومحاربة القرصنة فى البحار فقد كُلفت بها سفن الأسطول الرومانى حرصا على سلامة المواصلات البحرية (١) .

وبعد ان استولى الرومان على مصر ، وأصبحت تابعة لحكم الامبراطورية الرومانية شملتها تلك الخطة المرسومة من قبل السلطات المركزية الرومانية لاستتباب الأمن

وتوطيده : فقد أمر الامبراطور الرومانى أوغسطس باصلاح ماكان قد فسد بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة التى حدثت فى أيام البطالمة (٣٣١ ـ ٣١ق.م) فأصلحت الطرق وطهرت القنوات ، وعنى بالتجارة البحرية وبمياه البحر الأحمر التى غصت بلصوص البحر ، وأوعز إلى حاكم مصر ايليوس جالوس بغزو جزيرة العرب ، للاستيلاء عليها وعلى ثروتها العظيمة التى اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والأفاويه . وللقضاء على لصوص البحر الذين كانوا يحتمون بسواحل الحجاز واليمن وللهيمنة على البحر : وذلك لضمان مصالح الامبراطورية الرومانية فى ذلك الجزء من العالم ، وجعل البحر الأحمر بحرا رومانيا (٢) . وأن يضعوا أيديهم على مصادر الثروة العربية (٣) .

وقد اهتمت الامبراطورية الرومانية كذلك بهذا الجزء من العالم لتأمين الخط التجارى الى الصومال والجزيرة العربية والهند بسبب استهلاكهم المتزايد للطيوب والتوابل أو لاحتياطهم الاستراتيجى أمام التحدى الفارسى (٤) .

ويذكر سترابو وبليى أن العرب تكاثروا فى أيامها « **العصر الامبراطورى** » على العدوة الغربية من البحر الأحمر ، حتى شغلوا مابينه وبين النيل فى أعلى الصعيد ، وأصبح نصف سكان مصر منهم ، وكانت لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل ، وكان العرب فى أيام أغسطس فى بداية القرن الأول الميلادى قد دخلوا الحبشة وتملكوها ، وأوغلوا فى بلاد النوبة ، واتفق فى أثناء ذلك ارسال حملة رومانية لفتح بلاد العرب بقيادة ايليوس جالوس .

ومنذ أن دخلت مصر فى حوزة الرومان وهم يرسلون حملاتهم لرد هجمات العرب والعرب يهزمونهم (٥) .

وخلاصة القول: إن دوافع الرومان لغزو الجزيرة العربية مما سبق ذكره تتلخص فى النقاط الآتية :

١ ـ تأمين طرق المواصلات البرية والبحرية فى الشرق وبخاصة الى الصومال والجزيرة العربية والهند .

٢ ـ جعل البحر الأحمر بحرا رومانيا .
٣ ـ تأمين استراتيجيتهم أمام التحدى الفارسى .
٤ ـ رد هجمات العرب وتدفقهم على مصر وبلاد النوبة والحبشة .
٥ ـ وضع أيديهم على مصادر الثروة العربية .

حملة ايليوس جالوس عام ٢٤ ق .م :

إن الأمل المنشود لدى العديد من علماء التاريخ والآثار هو العثور على بقايا مراكز الجيش الرومانى ومخلفاتهم ، لتكون أهم الوثائق التاريخية التى يمكن بها إلقاء الضوء على فترة من أهم فترات التاريخ القديم ، وأن الهدف من هذه الدراسة البحث والتنقيب عن المخلفات الحربية ومعدات القتال التى اشتهرت بها جيوش روما من رماح وسهام وسيوف وأقواس وملابس عسكرية وخوذات بالاضافة إلى بقايا معسكراتهم التى أقاموا بها خلال فترات تجوالهم وإقامتهم .

وكذلك يمكن العثور على بقايا رسائل الجنود إلى ذويهم فى روما على أوراق البردى يمكن أن تحتفظ بها رمال المملكة العربية السعودية وكذلك النقود الرومانية التى أتوا بها وبعض رسائل القادة الى الامبراطور الرومانى وبقايا كتابات سترابو الذى رافق الحملة .

كل هذه الأدلة الأثرية تحتفظ بها رمال الجزيرة العربية فى انتظار معاول البحث والتنقيب .

ولاننكر فضل الرومان فى ترك اللوحات الحجرية المنقوشة التى يقيمونها فى أماكن معسكراتهم ، لتكون من أهم مصادر التاريخ .

ذكر فورستر فى كتابه «الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية» أن هذه الحملة خطط لها الامبراطور الرومانى **أوغسطس فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد**(٦) .

وذلك بعد وعد تلقاه من صديقه ملك الأنباط عبادة بالتعاون معه (٧) .

وقد نفذ ذلك القائد الرومانى ايليوس جالوس الذى كان واليا على مصر وقتذاك . وقد صحبه فى هذه الحملة الكاتب الرومانى سترابو الذى سجلها فى كتابه (الجغرافيا) (٨) .

وقد بدأ الرومان ببناء ٨٠ سفينة حربية وذلك قبل التأكد من أن العدو لايملك أسطولا حربيا،واكمل ١٣٠ سفينة حربية،وقد خسر الرومان عدة سفن في البحر الأحمر نتيجة جهل المرشدين (٩) .

ذكر فورستر أن الحملة أبحرت من ميناء **كليوباتريس** على خليج السويس على ظهر أسطول حربى .

وبعد رحلة استغرقت خمسة عشر يوما وصلت الحملة الى الساحل الغربى للبحر الأحمر للجزيرة العربية .

وكان **جالوس** على رأس جيش يتكون من حوالى ألف مقاتل رومانى ، وألف مقاتل من الأنباط ، وخمسمائة من اليهود (١٠) . أرسلهم الحاكم الرومانى هيرود (١١) .

وذكر **فورستر** أنهم نزلوا فى ميناء لوكا كوما (١٢) . وتقع لوكاكوما على ساحل البحر الأحمر على حدود مملكة الأنباط التى كان يحكمها الملك عباده الذى كان حليفا للرومان وقتذاك . وقد أجبر لقضاء بقية فصل الصيف الشديد الحرارة وفصل الشتاء فى الميناء(١٣) .

ثم دخلت قوات الرومان الى قلب الجزيرة العربية فى بداية فصل الربيع عام ٢٤ ق .م جهة الشرق عبر الصحراء والمناطق الخصبة ، وكان مرشدهم فى هذا السير هو **الوزير النبطى سيلايوس بعد اتصال جاليوس بملك الأنباط عباده (١٤) الذى لم يمد ايليوس جالوس بأية معونات ومساعدات سوى الحبوب والبلح والزبد (١٥)** .

وذكر سترابو أنهم وصلوا مارسيابا عاصمة الريمانيين ، وهم مجاورون لمملكة الأنباط ، وكان جالوس قد وصل الى مرحلة كبيرة من الفشل لحاجة قواته الى الامدادات بالاضافة الى ما أصابهم من أمراض .

ومن الملاحظ أن معظم الأماكن التى ذكرها سترابو فى كتاباته عن الجزيرة العربية لايمكن تحديدها بدقة ومعرفة أماكنها الحالية . والنتائج فى هذا الموضوع لدى علماء التاريخ والآثار والدراسات الشرقية القديمة كلها تقوم على الاجتهادات، لحين مواصلة إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية المسح الأثرى الشامل للساحل العربى للبحر الأحمر والطرق الرئيسية داخل المملكة، وإجراء التنقيبات والحفائر العلمية التى سوف تعطينا نتائج علمية تغطى جوانب عديدة فى تلك النقاط .

وقد حاول السير لورانس كيروان فى الندوة العالمية الثانية لتاريخ الجزيرة العربية بكلية الآداب جامعة الرياض عام ١٣٩٩ هـ . إلقاء الضوء على ميناء لوكاكوما من خلال بحثه بعنوان « أين يبحث عن ميناء لوكا كوما » .

فذكر أن لوكا كوما ميناء يقع على ساحل شبة الجزيرة الغربى. وهى الميناء التى رست عندها سفن ايليوس جالوس وهى فى طريقها الى جنوب غرب بلاد العرب قرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد . وكانت تقع عند نهاية الطرف الشمالى للطريق التجارى .

وكانت المدينة تتاجر مع البتراء . ومع ميناء ميوس هرموس المصرى عبر البحر الأحمر كما ورد ذكر اسم لوكا كوما فى نقش عدول بأثيوبيا « **وهو نقش يونانى على كرسى عرش كان قد نسخه كوزماس أنديكو بليوسيتس فى عدول بأثيوبيا عام ٥١٨م** (١٦) .

ولقد اتفق أكثر العلماء على أن **لوكا كوما** هى موضع ميناء الحوراء، كما تعرف آخرون عليها فى موضع ميناء ينبع . ومهما كان الأمر فان المصادر اليونانية واللاتينية تقودنا الى الاستنتاج التالى :

وهو وجوب البحث عن ميناء لوكا كوما فى منطقة أكثر بعدا الى الشمال وبخاصة وأن الاعتبارات الجغرافية تدعم ذلك . وهذا البحث الذى قدمه السير لورانس كيروان يقترح تحديدا مكانيا جديدا بالنسبة للوكا كوما، وكذلك بالنسبة للميناء النبطى اجرا الذى ذكره سترابو .

ويبدو أن ساحل البحر الأحمر كان يتمتع بعدد كبير من المرافئ البحرية الهامة ؛ حيث كانت حركة التجارة فى القرن الاول قبل الميلاد قد وصلت الى ذروتها ، بعد أن أصبح للأنباط قوة كبيرة سيطرت على شمال الجزيرة العربية ، وشيدت الحصون العسكرية، أهمها حصن عبودا فى صحراء النقب . (١٧)

وكذلك لتأمين طرق التجارة التى تحكموا فيها لوقت طويل .

وأستطيع القول بأن مرافئ دولة الأنباط العديدة مازالت بقاياها على الساحل الغربى للبحر الأحمر .

ذكر سترابو أن الحملة استغرقت ستة أشهر داخل الجزيرة العربية، وشهران عند العودة وسلك الطريق من لوكا كوما عبر الصحراء مارا بالمدينة المنورة حتى القصيم حتى وصل الى قلب بلاد نجد وعاد فى اتجاه الجنوب حتى مدينة نجران عن طريق من أشهر الطرق التى تربط بين نجد والجنوب .

واصل سترابو وصفه لسير الحملة وذكر أن سيلايوس أرشدهم للسير فى طرق دائرية . وأحيانا سلكوا طرقاً وعرة عبر الأقاليم الصحراوية .

وكان هدف سيلايوس من السير بالحملة على هذه الطرق ، ليس لارشاد جالوس داخل الجزيرة ؛ لكن للاتصال برؤساء المدن الواقعة بها لكسب ولائها الى مملكته وليكون سيدا عليها (١٨) .

ولم تكن مصادر المياه وفيرة فى هذه الطرق ؛ الأمر الذى جعل الرومان يعتمدون على مالديهم من مياه فى «القرب» المحمولة على ظهور الجمال .

وعبر هذه الطرق الوعرة، وبعد سير شاق وصل الرومان الى منطقة حيث الأراضى الخصبة المزروعة بالقمح والذرة والنخيل . وهى أخصب أراضى نجد وهى منطقة القصيم .

بعد ذلك وخلال سير على مدى خمسين يوما وصل الرومان الى مدينة « **نجران** » وهى مدينة تقع فى مكان آمن ومنطقة خصبة وسقط ملكها (١٩) .

وذكر **فورستر** بالاضافة الى ماذكره سترابو أيضا ماكتبه بلينى فى كتابه التاريخ الطبيعى : أن **جالوس** دمر عدداً من المدن التى لم يذكرها كتاب من قبل وهى ، **نجران ، أمنيستوس ، نيسيا ، ماجنوسا ، تاماكوس ، لابيشيا ، ماريابا وكذلك كاربيتيا** (٢٠) .

وقد وصلت قوات جالوس حتى مدينة **ماريابا وذكر سترابو أن اليزاروس دافع عن ماريابا** ضد قوات جالوس ، وذكر المعينيين وأن أراضيهم خصبة وأشجارهم وثرواتهم عديدة وتحدث عن حاكم نجران الذى هرب ، ولكن ملك المعينيين لم يهرب ، وعندما وصل **جالوس الى مأرب واجهه اليزاروس وتصدى له** .

ذكر د . جواد على فى كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام عن بعض أسماء المدن التى ذكرها بلينى بالجزيرة العربية ان نجرا هى نجران الحالية.اما اسكا أونسكا فمدينة « **نشق** » **وتعرف اليوم بـ «البيضاء»** أما **ماجوسا فيرى جلاسر** أنها قريبة من **مجزر** وهو موضع يقع جنوب «**البيضاء** » **أو مجزع** أو مجزأة . اما جروهمان فيرى أنها قرية مجزرة معروفة حتى هذا اليوم وهى فى موضع ذى مياه ، وقد كان مأهولا ومازال : لذلك رأى أنه ذلك المكان الذى قصده **بلينى** .

أما **كاميناكوم** فهو قريب من **كمنه· أو كمنهو** الواردة فى المسند ، « وكمنا » فى الزمن الحاضر ويقع شرق البيضاء وشمال شرقى كاربيتا .

أما كاربيتا . فيرى جلاسر ، أن هذه التسمية قريبة من « **خربة** » **العربية** وأن بلينى الذى أوردها إنما أراد إحدى المدن التى كانت خربة فى ذلك العهد ، ويذهب فيلبى الى هذا الرأى أيضا ويرى احتمال كون كاريبتيا موضع « **خربة سعود** » .

ويرى **شبرنجر** أن لابشيا هى «**لقبق**» أما «**جلاسر** » **فيرى أنها** «**لوق**» وهى موضع خربة فى « شحاط » عند جبل قدم على مسيرة ساعتين من شمال شرق معين أوقاع « **لبة** » **غرب البيضاء.**

أما نستم هى نستم أو « **وادى وسط** » **الواقع بين الخنب والجوف أو وادى وسط** أونشاَن أو نشن المدينة المعينية القديمة .

ومار يابا أومار يفا إنما هى ماريبا لدى سترابون أى مأرب فى رأى بعض الباحثين .

أما جلاسر فيرىَ أن الرومان لم يتمكنوا من الوصول الى **مأرب** ، **وأن مارسيابا أو ماريفا أو ماريابا** لايقصد بها مأرب عاصمة سبأ ، كما ذكر سترابون أنها عاصمة شعب يعرف باسم الريمانيين .

كما يحكمه ملك يسمى **اليزاروس** وفى ذلك دليل على أنها مأرب أخرى ، لا مأرب السبئيين .

ويواصل د . جواد على تعليقه على ذلك فيقول : وكما ذكرت من قبل أن هذه الاجتهادات فى حاجة الى الأدلة الأثرية التى تسعى اليها إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة للحصول عليها خلال عمليات المسح الأثرى والحفائر .

أكمل **فورستر** فى وصفه للحملة عند عودتها أنهم سلكوا طرقا أخرى أقصر : وفرت عليهم بعض الزمن . **مروا بنجران ومنها إلى الآبار السبعة «العيون السبعة» وهى الحصبه**:وهو موضع يقع على مسافة **١٥٠ ميلا** الى الغرب من **نجران** ومنه الى **موضع خالا** ، وهو **خولان** فى بلد **خولان** ومنه الى مالوثا وهو مدينة تقع على نهر وادى (ضنكان) وهو واد فى أسافل السراة يصب فى البحر وهو من مخاليف اليمن .

ويرى البعض أن جالوس أبحر إلى مصر مع من بقى حيا من الرومان(٢١) .

رأى آخر ذكره د . جواد على فى نفس المرجع أن جالوس تراجع على طريق أثلولا « اترله » إلى نجران سالكا وادى مذاب ثم « وادى دماج » .

أما الآبار السبعة التى ذكرها سترابون،فتقع فى رأى جلاسر فى عسير ، وأما موضع خالا . فهو (كهالة) أو (حواله) ومنه الى مالوثا الواقعة على نهر . لعله **(وادى بيشه)** الى موضع قفر أوصلهم الى تهامة عسير فالحجاز فمدينة اجرا حيث أبحر منها الى مصر .

ويذكر د . جواد على أن ما ذكره عن تشخيص هذه المواضع التى ذكرها سترابون

وبليني إنما هى مجرد آراء . لعدم وجود كتابات أو أدلة ترشدنا الى تعيين تلك المسميات على وجه مقنع صحيح (٢٢) .

ويذكر د . جواد على فى نفس المرجع أن مدينة **أثلولا هى مدينة «يثل»** على رأى بعض الباحثين الذين يرون أن الرومان حرفوا الاسم العربى حتى صيروه على الشكل المذكور ليستقيم بذلك مع لسانهم (٢٣) .

وقد قدم الأستاذ **الدكتور** ج . و . **باورسك** بحثا بعنوان : (**نقش براقش الجديد المكتوب بلغتين**) .فى الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ وآثار الجزيرة العربية بكلية الآداب ـ جامعة الرياض عام ٩٩هـ وأوضح فيه :

أنه قد تم نشر نص على بضع قطع حجرية عثر عليه فى براقش فى شمال شرق صنعاء داخل الجوف فى اليمن مكتوب باللغتين اليونانية واللاتينية ، عثر عليه أحد رجال قبائل بنى **أشرف ، والنص يتصل بجندى من الغرب** يدعى **«بوبليوس كورنيليوس»** .

وحاول **الدكتور باورسك** تفسير ذلك النص على أسس تاريخية : فبلدة براقش هى « يثل المعينية » وأغلب الظن «أثلولا الرومانية» أى التى ذكرت فى كتابات الرومان عن حملة **ايليوس جالوس** وهى تحتل موقعا ممتازا اذا ما عسكرت به إحدى الحاميات إذ يسهل عليها السيطرة على الاقاليم .

وقد أقامت قوات ايليوس جالوس معسكرا هناك قبل أن تعود من حصارها الفاشل فى الجنوب ، ووجود ذلك المعسكر يعطينا تفسيرا لهذا الظهور الممتاز على شاهد قبر خاص بجندى رومانى .

وقد فشلت حملة ايليوس جالوس بسبب عدم دراسة طبيعة الجزيرة العربية دراسة وافية لأرضها ومناخها ، بالاضافة الى خيانة الوزير النبطى سيلايوس ؛ حيث أنه كان من المستحيل الاعتقاد بأن الأنباط يرحبون بنفوذ الرومان فى بلادهم . وليس من مصلحتهم نجاح الحملة ؛ حيث ستكون نهاية لسيطرتهم على طرق التجارة .

وبلاشك قد أثرت هذه الحملة علي نفوس العرب الذين لم يعرفوا الغزو لبلادهم من قبل .

ولعل الخبرات التى نالها الرومان بعد فشل ايليوس جالوس قد وضعت نهاية للفكرة التى كانت تراود أباطرة روما فى غزو الجزيرة العربية (٢٤) .

حملة الامبراطور تراجان ١٠٦م :

كان المقصود من هذه الحملة هو القضاء على دولة الأنباط والسيطرة على بلاد العرب وتشمل شمال المملكة العربية السعودية : حيث لم يستطع تراجان المغامرة بجيوشه داخل الجزيرة العربية خشية الفشل الذريع الذى اصاب ايليوس جالوس .

وكان الأنباط قد كونوا مملكة شاسعة قوية واستطاعوا السيطرة على طرق التجارة عبر شمال ووسط الجزيرة العربية .

وعندما بدأ الضعف يظهر على الدولة السلوقية فى بلاد الشام اغتنم هذه الفرصة الأنباط ، وأغاروا على أطراف الدولة السلوقية . **وفى عهد الحارث الثالث النبطى ٨٧ ـ ٦٢ ق . م بلغت الدولة النبطية أقصى اتساعها** ، فقد احتل هذا الملك دمشق حوالى عام ٨٥ ق.م ولقب باسم **محب اليونان** وفى نفس العام تمكن الحارث من ضم كثير من البلاد السورية الى أملاكه .

وفى عهده زحف القائد الرومانى بومبى عام ٦٤ ق.م على سورية وخضعت له المدن السورية الواحدة تلو الأخرى ، وقضى على حكم السلوقيين نهائيا ، ووصل دمشق فاصطدم بالأنباط فغلبهم ، ثم سار الى البتراء وفتحها وجعلها ولاية رومانية ، وعندما شعر الأنباط بقوة بومبى وبخطر القوات الرومانية تعهدوا بأن يقدموا للدولة الرومانية جندا يساعدونها فى حروبها، وبدفع جزية سنوية الى الرومان مقابل بقاء مملكتهم حرة مستقلة تحت النفوذ الرومانى، وعرفت مملكة الانباط بعد ذلك باسم فلسطين أو مملكة فلسطين المسالمة .

ولكن خضوعهم للرومان وقبولهم لهذه الشروط لم يكن سوى واسطة للخلاص من أذاهم ، فانهم لم يكونوا مخلصين فى ولائهم للمحتل ، وكانوا يغتنمون كل فرصة للانقضاض على السلطة الرومانية ، وكانت المواقع تتحدد غالبا بين الطرفين ، بالرغم من أن النصر كان بجانب الرومان فى أغلب الأحيان ، ولما رأى الرومان استحالة الإبقاء على الصداقة بينهم وبين الأنباط قرروا القضاء عليهم مهما كلفهم ذلك من جهد ، فحمل عليهم حاكم الشام الرومانى (كورنيليوس) حملة عنيفة واستولى على العاصمة (البتراء) وقضى على استقلال الأنباط ولكنهم ثاروا من جديد فى سبيل الاستقلال فحمل عليهم الامبراطور الرومانى تراجان فى العام التالى ١٠٦م حملة بددت شملهم وقضت على دولتهم نهائيا (٢٥) .

وقد كون **تراجان** مايسمى بالمقاطعة العربية وأحدث تغييرات مهمة فى الادارة وفى طرق المواصلات وأصول الجباية : فأنشأ طريقا مهمة من «**أيلة**» على رأس خليج العقبة مارة بالبتراء فبصرى الى دمشق .

وصارت بصرى **محطة** مهمة جدا للقوافل القادمة من اليمن والحجاز ، وقوى الاسطول الرومانى وأمده بسفن أحدث ، وذلك لمقاومة لصوص البحر وللسير بحرية فى البحر الأحمر ولاحتكار التجارة البحرية (٢٦) .

وهكذا سعى الامبراطور تراجان الى السيطرة على موانئ الجزيرة العربية على البحر الأحمر ، وذلك لضمان التحكم فى تجارتها البحرية وللحصول على البخور الذى كان يعتبر رأس بضائع العالم الثمينة المطلوبة فى ذلك العهد ، وكان سعره يساوى سعر الذهب ، ولم يكن يشتريه لغلائه هذا الارجال الدين ؛ لاستعماله فى الشعائر الدينية التى تستنزف القسم الاكبر منه ، والملوك ، والأثرياء وذلك لحرقه فى المناسبات الدينية وفى اجتماعاتهم .

حملة سبتيموس سافيروس ٢٠١م :

إن آخر مايقال عن تدخل الرومان فى شئون جزيرة العرب هو ان **القيصر** سيبتموس

ساقيروس أرسل حملة عسكرية فى عام **٢٠١م** توغلت فى (العربية السعيدة) غير ان معارفنا عنها قليلة ، فلا نعلم الى أين وصلت وكيف انتهت ، ولعلها كانت قد تقدمت من المقاطعة العربية، وهى المقاطعة الجديدة التى أوجدها الامبراطور الرومانى تراجان على حطام مملكة الانباط .

وكان الذى قاد الحملة العسكرية على العربية السعيدة **ابن القيصر سبتيمرس ساقيروس** وقد اشتهر فيها ، غير ان معارفنا عنها لاتزال قليلة ، وقد وردت أخبار هذه الحملة فى موارد لم تشر الى اسم القيصر الذى أمر بارسال هذه الحملة الى العربية السعيدة ، إذ اكتفت بذكر لفظة قيصر (٢٧) ، ويظهر منها أن جيوش القيصر أنزلت خسائر فادحة، أولا بالعرب الساكنين فى البادية، وقد دعتهم تلك الموارد بسكان الخيام ، ويراد بهم الاعراب. ثم سارت تلك الجيوش حتى بلغت العربية السعيدة ولا نعلم الى أى مدى وصل اليه القيصر أو ابنه فى هذه الغزوات(٢٨) .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان الحاكم الرومانى كراكلا الذى خلف والده سبيتموس ساقيروس فى الحكم هو الذى قاد الجيش الرومانى الذى زحف على العرب الساكنين فى أعالى **(العربية السعيدة)** .

ويرون أن الرومان لم يتوغلوا بعيدا فى جزيرة العرب وربما كان أقصى مابلغوه ديار ثمود (٢٩) .

الصراع النهائى بين الرومان والعرب :

بعد تقسيم الامبراطورية الرومانية تقسيما نهائيا بين ابناء الامبراطور الرومانى ثيودوسيوس فى القرن الرابع الميلادى انتشرت فى الولايات الرومانية جماعات من البرابرة قضت على امبراطورية روما قضاء مبرما ، وكان ضعف القسطنطينية يختفى وراء اتساع ممتلكاتها ، فلم تنتهك حدودها أو على الأقل لم تمس ، وقد اتسعت مملكة الامبراطور

جستنيان فى القرن السادس الميلادى بضم افريقيا وايطاليا، وهذا عمل باهر . ولكن تملّك هذه الفتوحات الجديدة كان مؤقتا غير دائم ، إذ انتزعت جيوش العرب حوالى نصف الامبراطورية الشرقية . وفتح الخلفاء الراشدون الشام ومصر وغزت قواتهم الولايات الرومانية (٣٠) .

خالد بن الوليد وهزيمة الرومان فى اليرموك :

اجتمع للرومان باليرموك مائتان وأربعون ألفا من المحاربين . وكان للمسلمين أربعون ألفا فى جيوشهم جميعا .

كان لكل من هذه الجيوش استقلاله وانفصاله عن سواه، حتى كان لكل جيش أذانه وصلاته . فكان أول أعمال خالد أن اعترض على ذلك فى اجتماع لأمرائها، واتفقوا على توحيدها . ثم أجرى عملية تنظيم سريع لجيشه فقسمه الى ثمانية وثلاثين قسما، جعل ثمانية عشر منها فى القلب يقودها أبو عبيدة بن الجراح . وعشرة فى الميمنة يقودها عمرو بن العاص . وعشرة فى الميسرة يقودها يزيد بن أبى سفيان . كما جعل للجيش مقدمة عليه قباث بن أعشم .

وأمر قائد الرومان جيشه ببدء القتال فهجموا هجوما عنيفا على المسلمين حتى أزاحوهم عن مواقفهم وبلغوا فسطاط خالد بفرسانهم . بينما كانت مشاتهم مازالت فى الخلف تحاول أن تلحق بالفرسان المتقدمة . ووجد خالد فرصته لتحويل نصر الرومان الى هزيمة . فأدخل قواته بين فرسان الرومان ومشاتهم . وأفسح لتلك الفرسان طريقا خلال صفوف المسلمين . فأخرجهم من خلفهم بينما شد على المشاة الرومان الذين صاروا بدون فرسان فردهم . واستمر يزيحهم حتى ألقى بهم من شاهق فى خور اليرموك العميق .

وفر قائد الرومان . وقتل من الرومان مائة الف على الاقل . واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف . ووصلت أخبار الهزيمة الى الحاكم الرومانى هرقل وهو فى حمص فخرج منها وهو يقول : سلام عليك ياسوريا . سلاما لا لقاء بعده (٣١) .

عمرو بن العاص وهزيمة الرومان فى مصر :

بينما كان عمر فى الشام ، بعد دخوله مدينة بيت المقدس : تشاور عمر مع عمرو بن العاص بشأن تحرير مصر من الحكم البيزنطى وحماية الشام والجزيرة العربية من هجوم بيزنطى ، ثم أرسله على رأس قوة مؤلفة من اربعة آلاف رجل الى مصر وأمده فيما بعد بثمانية الاف آخرين ، وكتب الله لعمرو النصر ؛ فتغلب على التوالى على التحصينات الرومانية : (حصن الفرما ـ حصن بلبيس ـ حصن أم دنين ـ حصن بابليون) .

ثم حاصر عمرو الاسكندرية عاصمة مصر عدة أشهر وتم له التغلب على قواتها البرية والبحرية ، ووقّع صلحا مع المقوقس حاكم مصر الرومانى فى المدينة، وفيه وافق عمرو على انسحاب الرومان من المدينة ومغادرتهم أرض مصر مقابل تعهد الحاكم الرومانى ألا يحاول البيزنطيون استرداد مصر ثانية ، وبذلك اصبحت جزيرة العرب محمية من الشمال ؛ إذ انضم اليها عرب الهلال الخصيب ، وانسحب الرومان البيزنطيون من الشام ومصر ، وأصبح البحر الأحمر بحرا عربيا (٣٢) .

وخلاصة القول : إن جيوش الاسلام التى خرجت من الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى استطاعت ان تضع نهاية للنفوذ الرومانى وأن تنقذ الشام ومصر من هذا الخطر الذى كان جاثما عليها وأن تحطم أحلامهم الى الأبد .. تلك الاحلام التى طالما روادت أباطرة الرومان فى غزو الجزيرة العربية .

○○○○○

■ الهوامش ■

(١)نور الدين حاطوم ومجموعة : موجز تاريخ الحضارة ص : ٥٩٩ ـ ٦٠٠

(٢) د . جواد علي المراجع السابق ص : ٤٣

(٣) انور الرفاعي : تاريخ العرب والاسلام ص : ط؛

(٤) د . لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق .

(٥) جورجي زيدان : المرجع السابق ص : ٢٣٠ ، ٢٣١

Ch. Forster, Historical Geography Of Arabia, P. 277 (٦)

The Cambridge Ancient History, 5, P. ¼½⅞ (٧)

Ch. Forster, Op. Cit. P. 279 (٨)

The Cambridge, Op. Cit. P. ¼ (٩)

Ch. Forster, Op. Cit, P. 280 (١٠)

The Cambridge, Op. Cit, P. 250 (١١)

Ch. Forster, Op. Cit, P. 280 (١٢)

The cambridge, Op. Cit, P. 250 (١٣)

Ch. Forster, Op. Cit, P. 281 (١٤)

The Cambridge, Op. Cit, P. 251 (١٥)

الريمانيون : ريمان قبيلة عربية ورد اسمها في عدد من كتابات المسند ، وقيل من أقيال هذه القبيلة كان هو المدافع عن مأرب وظن الرومان أنهم أهل مأرب .

د . جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٥٦

(١٦) السير لورنس كيروان : بحث (خليفة من الجزيرة العربية لبعض نقوش كوزماس في عدولية بأثيوبيا ، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ وأثار الجزيرة العربية عام ٩٧ هـ . كلية الآداب ـ جامعة الرياض .

New Atlas Of The Bible, P. 143 (١٧)

Ch. Forster, Op Cit., P. 312 (١٨)

F.,R. Stiehl, Op. Cit., 2 P P. ¼⅜ (١٩)

Ch Forster, Op. Cit., 309 (٢٠)

(٢١) د . جواد علي المرجع السابق ص : ٥٧

(٢٢) د . جواد علي المرجع السابق ص : ٥٧

(٢٣) د . جواد علي المرجع السابق ص : ٥٧

The Cambridge, Op. Cit., P. 252 (٢٤)

(٢٥) أنور الرفاعي : تاريخ العرب والاسلام ص : ١١٨

(٢٦) د . جواد علي : المرجع السابق ص : ٦٥

(٢٧) لفظة قيصر : هي أحد ألقاب أباطرة الرومان نسبة الى يوليوس قيصر .

(٢٨) د جواد علي : السابق ص : ٦٧

(٢٩) د . جواد علي : المرجع السابق ص : ٦٧

(٣٠) أجيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانيه وسقوطها ج٣ ص : ٩٩

(٣١) ا ع . كمال : الطريق الى المدائن ص : ٣٥ ـ ٣٦

(٣٢) أنور الرفاعي : المرجع السابق ص : ٩٤